

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة في المسجد الحرام بمكة المكرمة

لفضيلة الشيخ : أسامة خياط

بتاريخ : ٢٢ - ١ - ١٤٢٣هـ

والتي تحدث فيها فضيلته عن : اليقين بهلاك اليهود الظالمين

الحمد لله الذي حرم الظلم والبغي والعدوان، أحمده سبحانه كتب على الباغي الخزي والهزيمة والخذلان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، قمع بسيف الحق أسيايف الباطل والطغيان، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان، أم بعد:

فيا عباد الله، اتقوا الله وأنيبوا إليه من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق.

أيها المسلمون، إن من تمام عدله سبحانه وكمال رحمته وجميل بره وإحسانه أن حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً، كما جاء في الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه فيقول: ((قال الله عز وجل: يا عبادي إني حرمة الظلم على نفسي، وجعلته محرماً بينكم، فلا تظالموا)) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه.

وإن للظلم ألواناً وصوراً تربو على الحصر، غير أن أبشع أنواع الظلم وأفبح صورته وأشدّها نكراً وأعظمها خطراً البغي في الأرض بغير الحق، والاستطالة على الخلق، في دينهم أو أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم أو عقولهم، بمختلف سبل العدوان، التي يتفق أولو الألباب على استعظامها والنفرة منها والحد من التردّي في وهدتها والتلوث بأرجاسها.

ولذا جاء تحريم البغي في الأرض منصوصاً عليه في سياق جملة من أصول المحرمات، إعلماً بشدة الوزر وثقل التبعة وسوء المصير، وذلك في قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلْتِمُ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، كما توعد سبحانه كل من سلك سبيل البغي بأليم العذاب فقال تعالى ذكره: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢].

وهذا العذاب الأليم -يا عباد الله- إنما هو الجزء المؤجل من العقوبة، لكن للغبي أيضاً عقوبةً يعجلها الله للباغي في حياته الدنيا، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي وابن ماجه في سننهم بإسناد صحيح عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((ما من ذنب أجد أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم))** ، وعاجل هذه العقوبة أن على الباغي تدور الدوائر، فإذا هو يبيء بالخزي ويتجرع مرارة الهزيمة وينقلب خاسئاً، لم يبلغ ما أراد، ولم يظفر بما رجا، كما قال تعالى ذكره: **﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾** [يونس: ٢٣].

ولكم -يا عباد الله- في سير الماضين وأنباء من قد سبق من الذين بغوا في الأرض فأكثرُوا فيها الفساد، لكم فيهم أوضح الدلائل وأصدق البراهين وأظهر الآيات، فماذا كانت عاقبة بغي فرعون حين **﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ﴾** [القصص: ٤]؟! ألم تكن: **﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾** [النازعات: ٢٥]؟! وكيف كانت عاقبة بغي قارون الذي بغى على قومه حين آتاه الله من الكنوز ما تنوء به ثقله العصبية أولو القوة؟! ألم تكن: **﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾** [القصص: ٨١]؟! وإلى أي منتهى كان أمر أبي جهل بن هشام وأمّية بن خلف والملا من قومهما الذين بغوا في الأرض فاشتدت وطأتهم على المستضعفين من المؤمنين الأولين، فساموهم سوء العذاب وأليم النكال؟! ألم تكن بهلاك الظالمين وقطع دابرهم أجمعين، وبالنصر والغلبة والتمكين للمؤمنين الصادقين الصابرين!؟

وكذلك كانت عاقبة كل من بغى في الأرض، وعلا فيها بغير الحق، واستضعف أهلها فعلى الباغي تدور الدوائر مهما تجبر واستكبر، وغرته قوته، وأسكرته صولته، وإن هذه السنة الربانية -يا عباد الله- عامة شاملة، لا يشذ عنها بغي اليهود الآن في الأرض المقدسة وفي كل أرجاء فلسطين المسلمة الصابرة، بما يجترحون من قتل وتشريد واغتيالات وحصار وتجويع وعدوان جائر، تقصّ له المضاجع، وتتفطر منه الأكباد، وتهتز الأفئدة حيث لم يستثن امرأة ولا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً، وبلغ السيل الزبا فنال حتى من الجرحى الذين تركوا في الطرقات، يكابدون آلام الجراح التي أثنختهم، ويستغيثون ولا مغيث لهم إلا الله، بعد أن منع هؤلاء اليهود الطغاة البغاة رجال الإسعاف والإنقاذ من الوصول إليهم لأداء واجبهم المشروع في كل الشرائع الربانية وفي القوانين والاتفاقيات الدولية، التي أقرها العقلاء لمعالجة أوضاع وحالات الحروب.

وإن ما لا ينقضي منه العجب -يا عباد الله- تبجّح هؤلاء اليهود الطاغين -لعنهم الله- بأن كل ما يقترفون من جرائم يندى لها الجبين، وتتمعر منها الوجوه، إنما هو دفاع عن النفس باعتباره حقاً مشروعاً لهم، وهل شرع حق الدفاع عن النفس -يا أولي الألباب- للظالم الباغي، والغاصب السارق، أم هو حق لا يختلف في أنه للمظلوم المعتدى عليه الذي سلب حقه وأرضه وأمانه وحرّيته؟! عباد الله، إن مما لا بد منه أمام هذه النازلة أن يكون كل مسلم على ذكر من أمرين:

أما أولهما: فهو أن من حكمة الله تعالى ومن بديع تدبيره أنه يمهل للظالم ويملي له، لكنه يأخذه في النهاية أخذاً أليماً شديداً، لا نجاة له منه، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان في صحيحهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله تعالى ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)) ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، فهو إمهال ليزداد الباغي من أسباب بغيه وعدوانه، فتعظم عقوبته، ويشتد عذابه.

أما الثاني: فهو أن سنة الله في الابتلاء ماضية في عباده المؤمنين تمحيصاً وتعليماً، ورفعةً وتكريماً، وفي الكافرين محقاً وقطعاً وعذاباً أليماً، كما قال سبحانه: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدُولُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ أَلْدِينَ ءَامِنُوا وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامِنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠-١٤٢].

فالعاقبة -يا عباد الله- دائماً للمتقين، والنصر والتمكين والغلبة للصابرين الصامدين، الذين يستيقنون أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً. أعود بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وبسنة نبيه ﷺ، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فيا عباد الله، لقد دلت عظات التاريخ وعبر الأيام ومحفوظ التجارب ومدخور المعارف أنه كلما اشتدت وطأة البغي وتعاضم خطره وتفاقم أمره واستفحل شره كان ذلك إيذاناً بانحسار مدّه وخمود جذوته وتقهر جنده. وإن من تمام اليقين بالله وصحة التوكل عليه وصدق اللجوء إليه مع كمال الصبر واحتساب الأجر ومعونة الإخوة في كل ديار الإسلام بكل ألوان المعونة والنصرة والمؤازرة ما يبعث على قوة الرجاء في كشف الغمة، وصد العدوان، وهزيمة البغي، والفرح بنصر الله الذي ينصر به من يشاء وهو العزيز الرحيم.

ألا وصلوا وسلموا على الحبيب رسول الله، فقد أمرتم بذلك في كتاب الله، حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد ...